ثلاث علامات بارزة في الرواية الفلسطينية
غسان كنفاني، اميل حبيبي، جبرا ابراهيم جبرا

فاروق وادي، **ثلاث علامات بارزة في الرواية الفلسطينية: كنفاني، حبيبي، جبرا ابراهيم جبرا**، بيروت: دائرة الاعلام والثقافة في م.ت.ف. بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ١٨٣ صفحة.

يعالج الجزء الأول من كتاب فاروق وادي بعنوان: «ثلاث علامات بارزة في الرواية الفلسطينية»، منشأ الرواية في فلسطين: بداياتها، أهم الأعمال التي اعتبرت روائية، بشكل أو بآخر، ثم أول رواية فلسطينية فيها خصائص الفن الروائي، وما يمكن تسميته «بهيكلية الرواية».

وبطبيعة الحال، يتعرض المؤلف بايجاز الى أحداث الأعمال الروائية الفلسطينية الأولى، ويحلل مضامينها ضمن الأشكال التي اعتبرها «مذكرات أكثر منها رواية»، ويناقش، في الوقت ذاته، المفاهيم الاجتماعية والسياسية والأدبية للروائيين أنفسهم. ومما يكسب اللمحة التاريخية التي يتحدث عنها شكلاً جديداً من أشكال البحث الأدبي، هو أن الكاتب لم يتحيّز في اصدار حكمه على أساسٍ مذهبي، أو أخلاقي، بل تحيّز في حكمه على أساسٍ إبداعي ــ أكاديمي.

فبعد أن يتحدث عن أن الرواية العربية ولدت من معطف الرواية الأوروبية، يعود ليقول: إن الرواية الفلسطينية هي أيضاً، ولدت من معطف الرواية العربية. وهنا، يدرج المؤلف آراء وأفكار بعض الكتاب والأدباء والباحثين، في ما يخص الأدب الفلسطيني بشكل عام، والرواية الفلسطينية بشكل خاص. ثم يأتي الحديث عن خليل بيدس الذي تأثر بالثقافة الأجنبية تأثراً مباشراً، وذلك من خلال المدارس التبشيرية لروسيا القيصرية، حيث كانت هذه المدارس ــ كما يقول المؤلف ــ هي الأكثر انتشاراً، والأكثر تأثيراً في الثقافة الفلسطينية (ص ١٦). وبما أن خليل بيدس كان أحد المتأثرين بهذه الثقافة، فقد أصدر ترجمات كثيرة من الأدب الروسي، الى أن كتب روايته الوحيدة، بعنوان: «الوارث»، والتي يعتبرها المؤلف «متفردةً بمكانتها التاريخية لكونها تمثل المحاولة الأولى في هذا المجال، على صعيد الرواية الفلسطينية» (ص ١٧).

أما العمل الروائي الآخر، الذي يمتلك خصائص روائية أفضل، فهو رواية: «مذكرات دجاجة» لاسحق موسى الحسيني التي قدم لها د. طه حسين، وصدرت عن سلسلة إقرأ المصرية عام ١٩٤٣. يقول فاروق وادي: «لا تكمن أهمية هذه الرواية في كونها النص الفلسطيني الروائي الوحيد، من أعمال تلك المرحلة (...) فحسب، لكن أهميتها تنبع من الموقف السياسي والايديولوجي الذي طرحته، والذي يفصح عن مواقف طبقة وثقافتها ورؤيتها» (ص ٢٧).

ويدرج المؤلف أسماء أخرى كثيرة في حقل العمل الروائي، وهذا ما جعل من بحثه التاريخي عملاً جاداً وشيّقاً، وأهم الأسماء التي يذكرها: محمد عزة دروزة، محمد العدناني، اسكندر الخوري؛ عارف العارف وغيرهم.

ويؤكد الكاتب عجز الرواية الفلسطينية، في مرحلة من المراحل، عن اللحاق بالفنون الأدبية